



سيمياءية العنوان في شعر نازك الملائكة وبدر شاكر السياب (دراسة موازنة)

ثامر علي كريم^١، فاطمة رئيس ميرزائي^{٢*}

١. طالب ماجستير في فرع اللغة العربية وآدابها بجامعة الأديان والمذاهب، قم، إيران

٢. دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، بجامعة شهيد بهشتي، طهران، إيران (الكاتب المسؤول)؛

Parseh_47@yahoo.com

الملخص

يُعدُّ العنوان من القضايا الهامة في علم السيمياء والذي شغل بال الباحثين والنقاد في العصر الحديث، حيث لا يهتم الشعراء القدماء باختيار العنوان لقصائدهم. إنَّ العنوان نافذة لولوج المتلقي في عالم النص ومدخل ضروري لفهم النص، فهو المفتاح الرئيس لتفكيك بنية النص الأدبي على العموم والشعري على وجه الخصوص، إذ إنَّه يفتح الباب على إجماعات عدَّة ودلالات كثيرة. يهدف هذا البحث إلى دراسة العنوان في أشعار شاعرين من رواد الشعر الحر في العراق وهما نازك الملائكة من خلال ديوانها "شظايا ورماد" وبدر شاكر السياب في ديوانه "أزهار وأساطير"، حيث تعتبر هذه الدواوين من أوائل تجربتهما الشعرية التي كُتبت في فترة زمنية محددة. فنعالج في البحث كيفية استخدام العناوين لقصائدهما من خلال دراسة طرائق صوغ العناوين وشرح وظائف العناوين في دواوينهما، فإن السؤال الرئيسي الذي يُطرح هنا: ما هي الفروق والمشابهات الموجودة في استخدام العناوين لدى هذين الشاعرين؟ إن المنهج المعتمد في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها إنه: أولاً يكتر استخدام نازك الملائكة للعناوين غير الموحية مقارنة للسياب، وثانياً يكتر السياب من استخدام الجملة الفعلية لخلق عناوين قصائده مقارنة لنازك الملائكة، وثالثاً أنه لا يعتمد كل من الملائكة والسياب على العناوين ذات الوظيفة الإغرائية في هذه الدواوين كثيراً ويمكن السبب يرجع إلى أنَّ الدواوين المدروسة لهذين الشاعرين كانت من أوائل تجربتهما الشعرية ولم يهتما باختيار العناوين اهتماماً بالغا.

المفردات المفتاحية: العنوان، السيمياء، العتبات النصية، الموازنة، شظايا ورماد، أزهار وأساطير.

المقدمة

العنوان كإحدى أجزاء النص الأدبي وكالمفتاح لتفكيك بنية النص الأدبي، يكشف العلاقات المتبادلة في النص الأدبي والشعر ويسهل علينا فهم الدلالات فيهما. ومن خلال العنوان يسهل علينا الولوج في القصيدة وفي عالم النص، لأنه يشمل قرائناً توحى بما يتبعه، فهو المفتاح لتفكيك بنية النص الأدبي على العموم والشعري على وجه الخصوص إذ إنه يفتح على إichاءاتٍ عدّة ودلالاتٍ كثيرةٍ وبالتالي فالعنوان سيميائياً علامة تثير فضول القارئ لفتح النص والدخول فيه. فلبنية العنوان أهمية خاصة في الدراسات «بوصفها أول مثير أسلوبى تصطدم به عين المتلقي، ولكونه عنصراً فعالاً في بنية القصيدة الحديثة». (المرسومي، ٢٠١٥: ١٥٩)

لم يكن يهتم الشاعر بوضع عنوان معين لا لقصائده ولا لديوانه في الشعر القديم والعنوان كان يأتي بشكل غير مباشر كنسبية لمجموعة من القصائد كالمعلقات والروميات وقد كان يأتي عبر حروف الروي كسنيّة البحرى أو لامية العرب للشنفرى... ولم يكن الأدباء أو النقاد يهتمون به يمكن لأنهم يعتبرونه عملاً هامشياً، ولكن في الشعر الحديث يختلف الأمر لأنّ الشعراء يهتمون بوضع العنوان لقصائدهم متأثرين بالشعر الغربي، فالنص الشعري في الشعر الحديث يشتمل على جزئين: العنوان والنص والمعنى أو المقصدية قد لا تتضح إلا باجتماعهما معاً لأنهما يكوّنان العملية الإبداعية التي تجسّد رؤية المبدع الشاملة؛ لذا لا ينبغي جعل العنوان نصاً موازياً لنصه بل جزءاً منه. (واصل، ٢٠١١: ٣٧) وللعنوان صلة وثيقة بالنص لأنّ العنوان يعتبر كإحدى عناصر الانسجام على مستوى بناء النص.

أمّا اللآفت للانتباه فمعالجة العنوان لا تنحصر في إطار خاص ويمكن دراسته من جوانب مختلفة، وللعنوان وظائف عدّة فإننا في هذا البحث نركز على ثلاث وظائف وهي التسمية والإغرائية والوصفية؛ إن الوظيفة التسمية تدل على اختيار العنوان وتسميته للشعر ومطابقتها مع النص. فالوظيفة الإغرائية تعني أن يكون العنوان مستحدثاً ليظهر إغرائياً مدهشاً لمستقبله. أما الوظيفة الوصفية للعنوان فهي بمعنى مطابقتها مع مضمون القصيدة.

إنّ نازك الملائكة وبدر شاكر السياب من رواد الشعر الحر العربي وقد تعتبر أولى محاولتهما في هذا المضمار بديوان «شظايا ورماد» لنازك الملائكة وديوان «أزهار وأساطير» لبدر شاكر السياب، بداية حركة الشعر الحرّ رسمياً، وهما من الشعراء الذين قد وضعوا عناوين لدواوينهما وقصائدهما. يعتبر العنوان في الشعر كمرتكز رئيسي وجزء هامّ من الشعر وله وظائف مختلفة في الشعر، فيسعى هذا البحث الكشف عن هذه الوظائف في أشعار الشاعرين في ضوء علم الجماليات.

أسئلة البحث

- هناك أسئلة معرفية هامة ويسعى البحث الإجابة عنها وهي الأسئلة التالية:
- ما سمات وجماليات العنوان عند الشعارين نازك الملائكة وبدر شاعر السياب؟
 - ما مظاهر القوة والضعف في استخدام العناوين عند الشعارين؟
 - كيف وظّف الشعاران العناوين للدلالة على مضمون قصائدهما؟

خلفية البحث

لا شك أن هناك الكثير من الكتب والبحوث حول هذين الشعارين نظراً لمكانتهما الراقية، وتطوّرت هذه الدراسات إلى حياة الشعارين وإلى جانب من شعرهما وخصائص أدبهما. وكذلك قد تمت دراسات وبحوث متنوعة حول العنوان للنص الأدبي والأشعار العربية، يأتي في التالي أهمّ هذه الدراسات:

كتاب مسمّى بـ «العنوان في الأدب العربي النشأة والتطور» بقلم محمد عويس (١٩٨٨ م)، فالكتاب يتناول موضوعات منها ظهور العنوان غير المباشر في الحياة الأدبية وفي القصيدة العربية القديمة، ثم دراسة فنية وتطبيقية للعنوان في الشعر المعاصر مثل صلاح عبد الصبور، والسياب، وأبو ريشة، والبياتي. هناك كتاب آخر بعنوان «العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي»، (١٩٩٨ م) لمحمد فكري الجزار الذي يتناول موضوع علم العنونة، وبما أن العنوان يقوم بالاتصال بين الكاتب والقارئ والنص وُثم يقوم بإجراء التطبيقات على عناوين الصحف والأشعار والقصص. وكتاب بعنوان «سيميائية العنوان»، (٢٠٠١ م)، لبسام موسى قطوس وقد قام الكاتب بدراسة السيميائية والعنوان والتعريف بهما وأقسامهما ووظائفهما وذكر بعض النماذج أيضاً لهما. وكذلك هناك كتاب بعنوان «العنوان في الشعر العراقي الحديث دراسة سيميائية»، (٢٠١٣ م)، بقلم حميد الشيخ فرج، يسعى هذا الكتاب إلى معاينة علم العنونة عموماً، والعنونة في الشعر العراقي الحديث خصوصاً، لما لها من أهمية كبرى في قراءة النص الأدبي والوقوف على مقصدياته عبر العتبة الأولى وهي العنوان. هناك رسالة ماجستير في جامعة قاصدي مرياح - ورقلة -، بعنوان «العنوان في القصيدة العربية أبعاده ودلالاته ديوان شظايا ورماد لنازك الملائكة أنموذجاً»، (٢٠١٧ م)، تتناول الباحثة بعد عرض موجز عن المفاهيم النظرية ونبذة عن حياة الشاعرة وأشعارها، دلالات العنوان منها دلالة القصد ودلالة الظهور ودلالة الأثر والوسم ثم تقوم بدراسة أبعاد العنوان أو وظائفه من الأبعاد الأربعة وهي: التمييزي والثقافي والإرشادي والإشعاري. هناك أطروحة في الجامعة الإسلامية في لبنان، بعنوان «تجربة نازك الملائكة الشعرية دراسة بنيوية - سيميائية»، (٢٠٠٢ م) بقلم رياض عباس الطفيلي، قد كتبت الأطروحة في أربعة فصول، ففي الفصل الأول يقوم بدراسة البنية الإيقاعية والمستوى الإيقاعي للقصائد والفصل الثاني يختص بالمستوى المعجمي في القصيدة

التقليدية ثم يختار الباحث نموذجاً تطبيقياً لدراساتها والفصل الثالث يختص بالمستويين الصرفي والنحوي و ثم في الفصل الرابع يتناول المستوى المجازي في القصيدة الحديثة، ففي هذا الفصل يعالج الباحث جماليات عنوان القصائد للشاعرة أو بلاغة رمز العناوين ويقوم بدراسة قصيدة "نهاية السلم" كنموذج تطبيقي لهذا البحث. مقالة بعنوان «سيمائية العنوان لقصيدة نازك الملائكة أغنية للإنسان»، (٢٠١٢ م)، بقلم جريوي آسيا، المنشورة في مجلة الأثر. يتناول البحث عنوان قصيدة أغنية للإنسان ويُستنتج أنه على الرغم من بساطة العنوان لفظاً وشكلاً إلا أنه حامل مدلولات عميقة. مقالة أخرى في هذا المجال «سيمائية العنوان في ديوان شظايا ورماد للشاعرة نازك الملائكة» بقلم لطيف يونس حمادي الطائي، (٢٠١٦ م) مجلة مداد الآداب وقام الباحث بدراسة العناوين ودلالاتها في هذا الديوان من وجهة المنهج السيميائي ويشرح ثلاث وظائف للعنوان: الإنسانية والتأملية والتعينية. وكذلك مقالة بعنوان «الأغنية عنواناً في شعر نازك الملائكة، مقارنة سيميائية في فاعلية العلامة العنوانية»، (٢٠١٩ م) بقلم اخلاص محمود عبد الله وبشرى ياسين محمد. يتناول البحث عناوين أشعار الشاعرة وخاصة ثلاثة منها، وتشرح علاقة العناوين بالغناء. ولا شك أن هذه الدراسات كلها كانت مرجعاً مهماً لفهم الموضوع.

أمّا للولوج في البحث فعلياً أن نُبيّن بعض المصطلحات الخاصة للبحث ونعرض لها؛ لذلك نتطرق أولاً إلى مفهوم السيميائية ثم إلى مفهوم الموازنة.

السيمياء

لدراسة المعنى الاصطلاحي للسيمياء من الضروري فهم جذور هذه الكلمة، فإن كلمة السيمياء في أصلها كلمة يونانية، «إن كلمة دلالة (semantique) قد اشتقت من الكلمة اليونانية (semaino) (دل-عنى). وهي نفسها مشتقة من (sema) (دال). وقد كانت في الأصل صفة تدل على كلمة (معنى): إن أي تغير هو تغير معنوي، وإن القيمة الدلالية للكلمة تكمن في معناها. ونحن ننطلق من الكلمة لنطبق القيمة على أي إشارة. وعلى هذا فإن كل ما يتعلق بمعنى إشارة الإيصال، وبصورة خاصة بمعنى الكلمات يعتبر من الدلالة». (جيرو، ١٩٨٨م: ١٦)

أمّا السيمياء اصطلاحاً فيمكن القول بأنها علم، أو علم السيمياء ويعتبر من أبرز المناهج النقدية لتحليل النص الأدبي وموضوعه هو العلامة اللغوية وغير اللغوية، «سيمائية، معناها _اصطلاحاً_ علم الإشارات أو علم لدلالات وذلك انطلاقاً من الخلفية الاستيمولوجية الدالة حسب تعبير غريماش على أن كل شيء حولنا في حالة بث غير منقطع للإشارات. فالمعاني (والمعاني محصلة للإشارات المجتمعة) لصيقة بكل شيء... وهي

عالقة بكل الموجودات». (الأحمر، ٢٠١٠م: ٨) فإن السيميائية في مجال العلوم الأدبية تقوم بدراسة النص من حيث الدال والمدلول.

ظهرت السيميائية كعلم على يد فردينان دي سوسور العالم اللغوي الفرنسي وبيرس الأمريكي في القرن العشرين. أما سوسور فيمكن أن نعتبره أول من أشار إلى علم السيميائية بدعوته المبكرة في هذا القرن، فهو يرى أن اللغة نظام من الإشارات والسيميائية علم «موضوعه دراسة حياة الإشارات في المجتمع، مثل هذا العلم يكون جزءاً من علم النفس الاجتماعي وهو بدوره جزء من علم النفس العام، وسأطلق عليه علم الإشارات». (دي سوسور، ١٩٨٥م: ٣٤) وكما رأينا أن دي سوسور ينحصر دور السيميائية والإشارات في الحياة الاجتماعية ويشير إلى شمولية السيميائية ويعتبر اللسانيات جزءاً من السيمولوجيا.

اللافت للانتباه إنّ السيميائية تشتمل على شيء أكثر من الإشارات، حيث «تتضمن السيميائية ليس فقط ما نسميه في الخطاب اليومي إشارات، لكن أيضاً كل ما ينوب عن شيء آخر. من منظور سيميائي، تأخذ الإشارات شكل كلمات وصور وأصوات وإيماءات وأشياء». (تشاندر، ٢٠٠٨م: ٢٨)

فالسيميائية تبحث في النص «عن الدوال الشكلية الأساس التي تلعب دور المنتج للنص الأدبي بين الاختبارات اللسانية والمحددات السيميائية بما يؤدي إلى وضع الكتابة في إطار الأدبية، ويساعد على استخراج هذه القيمة بالدرجة الأولى». (تودوروف، ١٩٨١م: ٥) وفي أبسط التعريف بإمكاننا أن نقول علم السيميائية هي علم يهتم بدراسة دلالة ومعنى الكلمات ويشتمل المنهج السيميائي على مفاهيم هامة منها دراسة سيميائية للعبثات النصية.

الموازنة

يذكر صاحب اللسان مادة (وزن) أى وازنت بين شيئين موازنة ووزاناً و هذا يوزن هذا إذا كان على زنته أو كان محاذيه (ابن منظور، ١٣٧٥ق: ٤٤٦/١٣)

أمّا الموازنة اصطلاحاً تعني وضع عمليتين أدبيين بعضهما ثم القيام بتحليلهما تحليلاً ادبياً قائماً على التعليل و الإحصاء طبعاً لأسس جمالية موضوعية متفق عليها نتيجة لاستقراء التراث ومبنية على ذوق سليم مدرب وبممكننا القول بأنّ الموازنة تعني المقابلة بين فكرتين أو أثرتين أو مدرستين أو شخصين في مبحث طويل أو فصل من مبحث. (وهبة، ١٩٨٤م: ٧٠) و يمكن إدراك القيم الجمالية التي يشترك فيها العملان موضوع المقارنة أو يخالف أحدهما الآخر عن طريق الموازنة، وهذا الأمر يدخل في صميم مهمة النقد والناقد ولكن الناقد لا يريد أن يعرف فيما يشترك فيه المبدع مع سواه بقدر ما هو معنى بما ينفرد به هذا المبدع عن سواه. (القلمواوي، ١٩٥٩م: ١٥) والموازنة هي إحدى أدوات النقد الأساسية والتي هي من الوسائل التي كثيراً ما يلجأ إليها

النقد التحليلي. (العشماوي: ٢٨١) مع أنّ الوجّهات النظر حول الأعمال الأدبية مختلفة ووجوه التلاقي بينها ليس من الممكن أن تكون كاملة تامة بل تكون تقريبية ولكن الموازنة إذا استخدمت لدراسة القيمة الفنية للأعمال الأدبية، تمنح النقد الأدبي المنهجية.

علاقة العنوان بنص القصيدة

يمكن للناقد أن يقوم بدراسة علاقة عنوان الديوان بالقصائد الموجودة فيه للكشف عن فكرة الشاعر والارتباط بين القصائد مع عنوان الديوان وكذلك علاقة عنوان القصائد بمضمونها، فإن العنوان يحدد هوية النص، فعلى هذا يحاول البحث المقارنة بين عناوين الدواوين للشاعرين وكذلك عناوين القصائد، فعناوين الدواوين لها خطورة خاصة إذ إنه ليس من الضروري قراءة دواوين الشاعر للكشف عن جوانبه الجمالية فمن الممكن تحليل عقليته من خلال عنوان الديوان أو عنوان الكتاب.

فلنبداً بنازك الملائكة حيث إنّ قصائدها الأولى ذات مضامين متشائمة والنزعة الحزينة ويشعر القارئ هذا «النفس الشعري المصحوب الأنين في ديوانها شظايا ورماد حتى يتحول إلى مرارة عميقة تفضي بالشاعرة إلى أن الحياة سراب ولم تكن في عمرها إلا كجامعة الظلال». (التميمي، ٢٠١٧م: ١٧٦) بمعنى أنّ الشاعرة هي التي تصف نفسها في قصيدة بعنوان جامعة الظلال فإن العنوان يوظف التعريف بشخصية الشاعرة كأنها تجمع الظلال والظلام لنفسها، فعلى هذا نشير إلى قصائد الشاعرة إشارة عابرة حتى يتبين لنا مدى علاقة العناوين القصيدة بنصها وفي النهاية بعنوان الديوان.

فمن القصائد ما هي يشير العنوان فيها بمضمون القصيدة بشكل مباشر وكذلك بعنوان الديوان فهي القصائد التي لها البعد الدلالي ويوحى العنوان بالمعاني السلبية والإخفاق والهزيمة والانفعالية المتأتية من الحزن وعددها ثماني عشرة قصيدة، مثلاً: "الجرح الغاضب"، "جنازة ترح"، "قبر ينفجر"، "يوتوبيا الضائعة"، "حالة من الضياع"، "مرثية يوم تافه"، "جامعة الظلال"، "صراع"، "عروق خامدة"، "أجراس سوداء"، "تهم".

أمّا علاقة العنوان بمضمون القصيدة في القسم الآخر من القصائد فلا تُكشف في النظرة الأولى ومباشرة أو يمكن القول بأن هذه العناوين مغطّية بنوع من الغموض وتحتاج التأمل وقراءة نص القصيدة حتى يُفهم المضمون وارتباطه بالعنوان مع أنّ مضمون القصيدة يوحي بالحزن والضياع وعددها أربع عشرة قصيدة: "كأبرياء"، و"لنكن أصدقاء" و"في جبال الشمال" و"نهاية السلم"، و"وجوه ومرايا" و"خرافات" و"أنا" و"ذكريات" و"عندما انبعث الماضي" و"الخيط المشدود في شجرة السرو"، و"تواريخ قديمة وجديدة" و"في جبال الشمال" و"ألغاز".

فعلى سبيل المثال في قصيدة "كبرياء" إنّ العنوان يوحي بالكبرياء ولكن مع قراءة القصيدة يعرف المتلقي أن مضمونها مملوء بالحزن والأسى وأنّ الشاعرة تعتبر نفسها أفضل من أن يظهر بحبها وبهذا السبب تتألم وتحزن، «وحين ندقق في تسمية ... الكبرياء، نجد تعبيراً انهماكياً متعالياً أريد به التغطية على السبب الفعلي الذي كان يمنعها من البوح بحبها حقاً، وهو مجموعة الأعراف والتقاليد الاجتماعية التي تحضّر على المرأة عموماً أي شكل من أشكال العلاقة العاطفية، وهذه الأعراف قد ترسبت في أعماق وعي الشاعرة، ولا وعيها على نحو قيم أخلاقية عامة، ظلت مانعاً قوياً لأي نوع من أنواع التعبير عن الحرمان العاطفي». (علي، ١٩٨٧م: ٦١) تقول في مطلع القصيدة:

لا تَسَلِنِي عن سرِّ أدمعي الحَرِّ
 ي فبعضُ الأسرار لا يأتي الوضوحا
 بعضُها يؤثرُ الحياةَ وراءَ الـ
 حسُّ لُغْزاً وإن يكنْ مجروحا
 بعضُها إن كشفتهُ يَسْتَجِلُّ حُبُّـ
 أ مُهاناً يموتُ موتاً حزيناً

(الملائكة، ١٩٩٧م: ٣١ / ٢)

إنّ العنوان في "الخيطة المشدود في شجرة السرو" يغلّق باب التأويل على المتلقي وعليه أن يقرأ القصيدة كلها حتى يفهم الارتباط بين العنوان ومضمون القصيدة، أمّا نازك الملائكة فتقول حول هذه القصيدة: «حاولت فيها رسم صورة شعرية للانفعالات والخواطر التي اعترت شاباً فوجيء بنأ موت حبيبته. وسيلاحظ أنّ القصة العاطفية في هذه القصيدة ثانوية الأهمية بالنسبة للخيطة المشدود في الشجرة وما كان له صلة وثيقة بشرود الشاب المصدوم، وفي حالة الهذيان الداخلي التي اعترته. فعقدة القصيدة تعتمد على الحالة التي تعترى إنساناً يتلقى نبأً مثيراً فاجعاً، لا يتوقعه». (المصدر نفسه: ٢٤)

أمّا في ديوان "أزهار وأساطير" فأغلب قصائد الديوان فتشير إلى مضمونها حيث غلب مضمون الحب والغرام على قصائد هذا الديوان وتعتبر قصائده ضمن الشعر الوجداني، فلا يتعب المتلقي في فهم مضمون القصيدة بالنظر إلى العناوين وهذه العناوين سهلة موحية بمعاني الحب والفرق والمعاناة والألم، فعدد هذه القصائد أربع وعشرين قصيدة من مجموع تسع وعشرين قصيدة، قد يشير العنوان إلى الحدث البارز في القصيدة، بما أنّ الحدث له دور بارز في تكوين القصيدة ك: "هوى واحد" و"رئة تتمرّق" و"سوف أمضي" و"اللقاء الأخير" و"الموعد الثالث" و"لن نفترق" و"وداع" و"هل كان حبّاً"، و«حين يقدم الشاعر لقارئه عنواناً دالاً على حدث ما فإنه يقدم له المحور الذي تلتقي عنده بعض التفاصيل المتنقاة، فالأحداث بطبيعتها غنية بالتفاصيل، وإدراك الشاعر لها على المستوى الإنساني - كإدراك غيره ممن عايشها- مرهّن بالتفاصيل

الأقوى إثارة له، والتي ربما لا تشغل غيره». (البلال، ٢٠١٨م: ١٠٢) وقد يدل العنوان على المكان كقصيدة "في القرية الظلماء" وقد يدل العنوان على الزمن مثل "في أخريات الربيع" وقد يدل على الشخصية الرئيسية مثل "سجين". على سبيل المثال يقول الشاعر في قصيدة "وداع":

أريقي على ساعديّ الدموع وشديّ على صديّ المتعب
فهيهاً ألاّ أحوب الظلام بعيداً إلى ذلك الغيب
فلا تهمسي: غاب نجم السماء ففي الليل أكثر من كوكب

(السياب، د.ت: ٤٧)

ولكن هناك خمس قصائد عناوينها غامضة أو على المتلقي قراءة النص حتى يدرك علاقة العنوان بالنص، فهذه القصائد أيضاً لها مضامين غرامية وهي: "ستار"، و"في السوق القديم" و"أغنية قديمة" و"ديوان شعري" و"أساطير".

على هذا يتبيّن الفرق بين استخدام الشعراء في اختيار العناوين، فتبلغ نسبة اعتماد نازك الملائكة على العناوين التي لا توحى بمضمون القصيدة مباشرة إلى ١٤، ٣٢ بالمئة، ولكن بدر شاكر السياب يعتمد على العناوين المباشرة التي تصرح بمضمون القصيدة أكثر منها، حيث إنه يستخدم العناوين التي لا يمكن إدراك مضمون القصيدة عبر العنوان بنسبة ٢٤، ١٧ بالمئة ويمكن السبب يرجع إلى مضمون قصائده إذ يشتمل الديوان على قصائد غرامية وشعره من نوع الشعر الوجداني، ولكن مضامين أغلب القصائد عند نازك الملائكة اجتماعية وذاتية ويمكن أنها لم تبح بقضايا الغرام والحب في عناوينها بشكل صريح.

البنية التركيبية للعناوين

إنّ لبنية الألفاظ أهمية بالغة في علم العنونة أو في دراسة سيميائية للعنوان، فالبنية التركيبية للعنوان تتطلب إتباع إستراتيجية خاصة ولها شروط ومبادئ وكذلك تتطلب «وقتاً من التأمل والتدبر لتوليدته وتحويله إلى بنية دلالية معينة، لأن العنوان في أغلب الحالات يقدم ملخصاً للنص الذي يعنونه بطريقة تقريرية مباشرة أو إيحائية رمزية» (حسيّنة، ٢٠١٣م: ٤٠) فإنّ العلاقات المجاورة والبنية التركيبية تساعد العنوان على كسب الدلالات الجديدة إذ إنّ «العنوان - في وجوده اللغوي الذي يتضاءل إلى حد تشكله من كلمة واحدة - لا يتمكن بلغته فحسب من القيام بتلك الإنتاجية؛ إذ ليس ثمة إلا معنى الكلمة لا أكثر، وبالتالي فلا بدّ أنه ينطوي على كفاءة التفاعل مع عدد متنوع من النصوص والخطابات، بما يكفل له قدرة الاضطلاع بوظائفه» (الجزار،

١٩٩٨م: ٢٦)، فإنّ العنوان موجز ومكثف في آن واحد حيث إنه له إيجاز بنيته اللغوية وكذلك يمتاز بالتكثيف في البنية الدلالية الكامنة فيه.

على هذا سنبدأ بدراسة عناوين الدواوين قبل الولوج بالبحث، أما عن البنية التركيبية النحوية لعنوان ديوان نازك الملائكة: "شظايا ورماد"، فإنّ العنوان يأتي بصيغة الجملة الاسمية المعطوفة المتشكلة من "الخبر وحرف العطف والخبر لمبتدأ محذوف"، والأنسب في التأويل "هي شظايا ورماد" فشظايا كلمة دالة على جمع التكسير وعلى صيغة التنكير، فهذا يفسح لها المجال لحرية التعبير في تكبير الصورة الشعرية، وإن "رماد" كلمة مفردة جاءت على صيغة التنكير يعني أنّها ذو دلالة مطلقة وعلى هذا إنّ هذا العنوان من العناوين المغرية لتلفت انتباه المتلقي وتستدعي العودة إلى نص الديوان لإدراك التأويلات. أما عنوان "أزهار وأساطير" فإنّه متشكّل من كلمتين على غرار عنوان ديوان نازك الملائكة، إلا أنّ السياب يعتمد على كلمتين على صيغة جمع التكسير والتنكير حتى يدلّ على العمومية وهذا العنوان كذلك يغري المتلقي بتأويله.

فهناك بعض العناوين تتشكل من كلمة واحدة فقط وهناك عناوين مركبة من كلمتين أو أكثر، وفي العناوين المكونة من الكلمة المفردة «لا يمتلك القارئ أفقاً دلاليّاً محدداً يربط به الكلمة المنفردة التي يقدمها العنوان، ويكون ذلك على الأخص مع الكلمات العامة التي لا تنطوي على بعد إيجازي محدد أو ترتبط في ذاكرتنا الجماعية بشيء ما... ومثل هذه العناوين ذات الكلمة المفردة هي —في حقيقة الأمر— إيجاز وتعميم مؤقّت للدلالة العامة، أو موضوع القصيدة، لكنها مع ذلك تحمل الإشارة لغوية يمكن تصورها». (البلال، ٢٠١٨م: ٣٨٩)

واللافت للانتباه هو أنّ أغلب العناوين في شعر هذين الشاعرين تبدأ بالاسم وإنّ الجملة الاسمية توحى بالثبات. ولم نجد العناوين المكونة من كلمتين أو أكثر إلا في ستة عناوين. أما نازك الملائكة فاعتمدت على أشكال مختلفة من حيث البنية التركيبية لاختيار عناوين قصائدها، ولكن تكثر من استخدام الجملة الاسمية وهذا الأمر يشير إلى أن الشاعر «يعتمل في داخلها القلق والحزن، فكانت تبحث في لا وعيها عن الثبات، فالتجأت إلى الجملة الاسمية كنوع من التعويض عن شيء تفتقر إليه». (الطائي، د.ت: ١٤٧) فنشرح في الجدول الآتي تقسيم العناوين وترتيبها في ديوان "شظايا ورماد":

عنوان مفرد	عنوان ثنائي	عنوان ثلاثي أو أكثر
١. كبرياء	١. يوتوبيا الضائعة	١. تواريخ قديمة وجديدة
٢. صراع	٢. مر القطار	٢. عندما انبعث الماضي

عنوان مفرد	عنوان ثنائي	عنوان ثلاثي أو أكثر
٣. أفعاون	٣. عروق خامدة	٣. مرثية يوم تافه
٤. خرافات	٤. الجرح الغاضب	٤. الخيط المشدود في شجرة السرو
٥. جحود	٥. الباحثة عن الغد	
٦. ألغاز	٦. جامعة الظلال	
٧. أنا	٧. نهاية السلم	
٨. غرباء	٨. أغنية الهاوية	
٩. الكوليرا	٩. لنكن أصدقاء	
١٠. ذكريات	١٠. جنازة المرح	
١١. هُم	١١. وجوه ومرايا	
١٢. رماد	١٢. قبر ينفجر	
	١٣. أحراس سوداء	
	١٤. في جبال الشمال	
	١٥. إلى عمي الراحلة	
	١٦. يوتوبيا في الشمال	

الجدول ١

من خلال مشاهدة الجدول الفوق يتبيّن لنا أنّ نازك الملائكة تميل إلى الجملة الاسمية في اختيار عناوين قصائدها، فهي تعنون ثلاثة قصائد بالجملة الفعلية أما عدد عناوين التي تقوم على الجملات الفعلية ففي ديوان "شظايا ورماد" تستخدم الشاعرة في عناوين ثلاث قصائد من الجملة الفعلية: "مر القطار" و"لنكن أصدقاء"، "عندما انبعث الماضي"، إنّ الفعل قد جاء على صيغة الماضي في القصيدة الأولى ويحمل العنوان في داخله معنى إيحائياً والتي قمنا بمعالجتها في المبحث السابق، وكذلك قصيدة "لنكن أصدقاء" التي جاء العنوان فيها على صيغة الأمر فإن استخدامها صيغة الأمر وفعل الكينونة فهو «مناورة بالكلام حد الإرهاق، نما بينهما العناد، وطال أمد الهجر، لكن الحرب والحنين مستعر، فلم تجد بدا من رمي أسلحتها واستجدائه ان تعود الصداقة لسابق عهدها» (الطائي، د.ت: ١٤٨)

هناك تسع وعشرون قصيدة بالجملة الاسمية، فإنّ العناوين المفردة عددها اثنا عشر عنواناً، ويمكن القول بأنها مركبات اسمية تفتقر إلى المسند أو المبتدأ الذي حذف خبره مثل: "صراع" و"خرافات"، و"جهود" و"تهم". فإن العناوين المتشكلة من كلمة مفردة أغلبها جاءت على صيغة النكرة إلا "الكوليرا". ففي مثل هذه القصيدة إنّ الكوليرا يدل على مرض شائع في ذاك العصر ومعاناة الناس، ولكن تعريف الكلمة لا يجعلها معلومة بالفعل على الإطلاق .

وقد جاء بعض العناوين بصيغة الجمع والتنكير للتكثير والتعميم، ك (خرافات وذكريات وغرباء وتهم) فهو يفتح للقارئ مجالاً واسعاً للتأويل، فالنص يدور حول أكثر من خرافة، أكثر من أفعي أو ذكرى أو غريب وتهمة، دون أي تحديد لماهية هذه الأمور.

أمّا بالنسبة لديوان "أزهار وأساطير" فحصلنا على النتائج التالية المكتوبة في الجدول:

عنوان مفرد	عنوان ثنائي	عنوان ثلاثي أو أكثر
١. أهواء	٢. أقداح وأحلام	١. في ليالي الخريف الحزين
٢. أساطير	٢. في السوق القديم	
٣. اتبعيني	٣. اللقاء الأخير	
٤. سوف أمضي	٤. رثة تتمزق	
٥. لن نفترق	٥. هوى واحد	
٦. سراب	٦. لا تزيديه لوعة	
٧. وداع	٧. عينان زرقاوان	
٨. عبير	٨. أغنية قديمة	
٩. ستار	٩. ذكرى لقاء	
١٠. سجين	١٠. في القرية الظلماء	
١١. ملال	١١. لقاء ولقاء	
١٢. نهاية	١٢. هل كان حباً؟	
	١٣. الموعد الثالث	
	١٤. في أخريات الربيع	
	١٥. ديوان شعري	
	١٦. نهر العذارى	

الجدول ٢

فقد يختص خمس قصائد من ديوان "أزهار وأساطير" إلى الجملة الفعلية مثل: "اتبعني" و"لا تزيد لوعة" و"هل كان حباً" و"لن نفتق" و"سوف أمضي" وفي مثل هذه القصائد يخاطب الشاعر حبيبته ويتحسر على ما فات ويشير إلى الفراق منها. وعلى غرار نازك الجملة الاسمية في ديوان السيّاب أوفر حظاً لتشكيل العناوين، فمنها ما يعتمد على كلمة واحدة، مثل: سجين، وستار، ونهاية وملال ومنها ما يتشكّل من التركيب الوصفي، مثل: "الموعد الثالث" و"عينان زرقاوان" والتركيب الإضائي مثل: "ذكرى لقاء" و"نحر العذارى" ومنها ما يتجاوز كلمتين مثل: "في ليالي الخريف الحزين"، أما الجملة الاسمية الكاملة بأجزائها فلا توجد في ديوانه.

وظائف العنوان في شعر الشعراء

يعتبر العنوان الأداة الأولى لاتصال الأولى مع المخاطب أو القارئ ويشدّ انتباهه وهو المنفذ الأول للدخول إلى النص الأدبي، ولا يمكن أن تُدرّك وظيفة العنوان ودوره وخاصة في الشعر إلا بعد قراءة النص في الأغلب، وينبغي أن نشير إلى هذا الموضوع أنّ بعض العناوين لها عدة وظائف ولا تنحصر وظيفة واحدة في عنوان واحد، على هذا قد لا تنطبق كل الوظائف على العنوان، فمن العناوين ما يمارس وظيفة واحدة أو عدة وظائف، ومن الصعب كثيراً تحديد وظائف العنوان في ديوان ما، وهناك عدة تصنيفات وتقسيمات لوظائف العنوان وتختلف آراء النقاد حول تسمية هذه الوظائف وتقسيمها ولكن نحن نعالج وظائف أكثر شيوعاً وأهمها وهي: التسموية والإغرائية والوصفية ونبين هذه الوظائف في دواوين الشعراء.

الوظيفة التسموية

فهذه الوظيفة تُعرف أيضاً باسم الوظيفة التعينية «فالعنوان هم اسم العمل، تماماً مثل أسماء العلم وأسماء المواضع في علاقاتها بالأشخاص والمواضع التي تعينها، يهدف إلى التعرف على العمل بكل دقة وبأقل ما يمكن من احتمالات اللبس. إنّ الوظيفة الأولى للعنوان هي إذن الوظيفة التعينية» (كامبروي، ٢٠٠٤م: ٤٢) وإنّ هذا النوع من الوظائف أكثر شيوعاً وأهمها خاصة في مجال العمل الأدبي، حيث إنّ «هذه الوظيفة إلزامية وضرورية وبموجبها يعني العنوان نصه ويحدد هويته، إلا أنّها لا تنفصل عن باقي الوظائف لأنها دائمة الحضور ومحيط بالمعنى» (بواريو، ٢٠٠٨م: ٢٤٩) على هذا يمكن أن نعتبرها أبسط أنواع الوظائف من جهة وأصعبها من جهة أخرى حيث يُعرف الكتاب بهذا العنوان، فتحاول هذه الوظيفة تحديد العمل الأدبي وتعيين وتسميته ويعطينا شرحاً موجزاً عن محتوى العمل وهذا يمهد الطريق ويسهله للتمييز بين الأعمال الأدبية. فتشترك أغلب

العناوين في هذه الوظيفة، على سبيل المثال العنوان في قصيدة "الكوليرا" يعين متن النص ويسميه وهذا المرض يعرفه الجميع ولا نتيجة له إلا الموت، حيث إنه «اجتاح مصر في عام ١٩٤٧ مرض الهيمضة -الكوليرا- وجاءت الأنباء تحمل مأساة الإنسان العربي في هذا القطر، وتحركت مشاعر نازك وهي الحساسة التي يثيرها أدنى ألم ونظمت قصيدة "الكوليرا"». (مطلوب، ٢٠٠٢م: ٢٨٥)

إنّ الشاعرة تهتم بمعاناة الشعب وتحركها المشاعر الإنسانية، إذ تقول عن كيفية إنشاد هذه القصيدة: «وفي يوم الجمعة ٢٧/١٠/١٩٤٧ أفقت من النوم، وتكاسلت في الفراش واستمع إلى المذيع وهو يذكر أن عدد الموتى بلغ ألفاً، فاستولى علي حزن بالغ وانفعال شديد، فقفزت من الفراش، وحملت دفترًا، وقلمًا... وبدأت أنظم قصيدتي المعروفة الآن (الكوليرا) وكنت قد سمعت في الإذاعة أن جثث الموتى كانت تحمل في الريف المصري مكدسة في عربات تجرها الخيل، وأن أتحمس أقدام الخيل...». (الملائكة، ١٩٩٨م: ٩) فإنّ العنوان يشير إلى مرض الكوليرا هذا حيث تقول الشاعرة في هذه القصيدة:

الكوليرا

في كهفِ الرعب مع الأشلاء

في صمّت الأبدِ القاسي حيثُ الموتُ دواءً

استيقظَ داءُ كوليرا

حشدًا يتدفقُ موتورا

هبطَ الوادي المريحُ الوضأ

يصرخُ مضطرباً مجنوناً

لا يسمع صوت الباكينا (الملائكة، ١٩٩٧م: ٢ / ١٤٠)

فإنّ مضمون القصيدة واضح من خلال العنوان كما نشاهد في هذه الأسطر، وهناك قصائد أخرى للشاعرة لها الوظيفة التسموية ك "الجرح الغاضب" و"أنا" و"تم" و"إلى عمتي الراحلة" و"كبرياء" و"الغاز" و"مر القطار"، فهذه العناوين تحدّد خصائص المضامين الشعرية، والذي يؤدي إلى خلق العلاقة الخاصة بين الشاعرة والقارئ وما هي إلا علاقة تبلغ رسالة خاصة لا تدرك إلا من قبل المتلقي المتدوق.

نشاهد أنّ العنوان يرتبط بالمضمون ويشير إليه فيحمل وظيفته التسموية، ففي قصيدة "إلى عمتي الراحلة" تحدي الشاعرة القصيدة إلى عمته وبين من العنوان أن هذه القصيدة مرثية أنشدتها الشاعرة بعد وفاة العمّة ومن فقدان فراغها، أو في قصيدة "الجرح الغاضب" إن العنوان يشير إلى خصائص القصيدة أو قصيدة "أنا"

تشير إلى المستوى الدلالي لهذا الضمير، فهي تبحث عن الذات الإنساني والوجود البشري، وتجعل الذات أو الأنا في مركز النص فضلاً عن المعنى العام للقصيدة

ففي ديوان "أزهار وأساطير" كذلك هناك عناوين لها الوظيفة التسمية ك: "أهواء"، و"عبير" و"نهاية"، "ملال". ففي قصيدة "أهواء"، يتكفل العنوان وظيفته تسمية القصيدة وتثبيتها، حيث إنه يشير إلى نوع العمل، وإن القصيدة من نوع القصيدة الغرامية والعنوان يعرف العنوان القارئ بالعمل الأدبي دون أي خلط أو اشتباه، فقد نجح الشاعر في أداء وظيفته هنا. أو في قصيدة "ملال" يشير العنوان بمضمون القصيدة ونوع العمل بالتصريح ولا بالتعريض.

ومع أن الوظيفة التسمية تلتزم بالنصوص ووفية بها ولكن لها نقطة سلبية، إذ «تقيد من حرية التأويل، وتؤثر سلباً على استراتيجية القراءة وأحياناً على إقبال القارئ على الكتاب». (قطوس، ٢٠٠١م: ٤٩) فهو الذي يعين النص ويسميه، ويعتبر مؤشر لعلاقة النص مع القارئ.

الوظيفة الإغرائية

بمعنى أنّ العنوان يغري المخاطب أو القارئ بوسائل مختلفة ويحثه لقراءة النص، حيث تسمى هذه الوظيفة بالتأثرية، «تعد الوظيفة الإغرائية من الوظائف المهمة للعنوان، العمول عليها كثيراً على الرغم من صعوبة القبض عليها، فهي تغرر بالقارئ المستهلك بتنشيطها لقدرة الشراء عنده، وتحريكها لفضول القراءة فيه، والقاعدة المنظمة لهذه الوظيفة قد وضعت من قرون في مقولة Furetiere: العنوان الجيد هو أحسن سمسار للكتاب، وهذا الجمال ليس القيمة الوحيدة للعنوان، فهو ذو قيمتين، قيمة جمالية تنشرط بوظيفته الشعرية التي ييشها فيه الكاتب، وقيمة تجارية سليعة تنشطها الطاقة الإغرائية التي تدفع بفضول القراء للكشف عن غموضه وغرابته». (بالعابد، ٢٠٠٨م: ٨٥)

فإنّ هذه الوظيفة من الوظائف الهامة للعنوان، حيث إنّ العنوان يغري المتلقي ويحرك فضول قراءة القصيدة فيه، فمن خلال قراءة ديوان "شظايا ورماد"، نعر على عناوين تحمل وظيفة إغرائية، وتجذب انتباه القارئ. عدد العناوين ذات الوظيفة الإغرائية في ديوان "شظايا ورماد" ثلاث قصائد، وهي: "عندما انبعث الماضي" و"جنازة المرح" و"الخيط المشدود في شجرة سرو".

ففي هذه العناوين نجد نوعاً من الرمز أو الغموض أو شيئاً يغري المتلقي ويجذب انتباهه لقراءة النص وغالباً نلاحظ حضور هذه الوظيفة في العناوين الإبداعية، و«إنّ العنوان ما هو الذي يمنح للقارئ الفكرة الأولى عنه، وهذا الإحساس الأولى على ما قدر يكون جذاباً أو مبهراً للذهن وللعينين، يترك فيه أثر لمدة قد تطول

أو تقتصر، على المؤلف والطابع أن يوحد الجهود لإحداث توقع مقبول، أحدهما عن طريق التبسيط والاختزال عند وضعه للعنوان» (كامبروي، ٢٠٠٤م: ١٢)

ففي قصيدة "عندما انبعث الماضي" إنّ العنوان يغطّي بشيء من الغموض والإغراء ويجلب انتباه المخاطب، حيث إنّه يطرح في نفسه عدة أسئلة ومن أهمها هي أن المتلقي يسأل نفسه: ماذا سيحدث عندما انبعث الماضي؟ وإنه يصل إلى الجواب مع قراءة نص القصيدة.

إنّ العنوان في قصيدة "جنازة المرح" يظهر التباعد بين الجنازة والمرح دلالة الإغرائي، حتى يجلب التفات المتلقي ويشد انتباهه لقراءة القصيدة. وتستخدم الشاعرة في هذا العنوان أداة يمكن أن نسُمّيها كسر توقع المتلقي، حيث إنّ المتلقي أو القارئ عندما يسمع كلمة "جنازة" يأتي في ذهنه الجسد والميت لكنه حينما يكمل العنوان بكلمة "المرح" فإنه يخيّب ظنه وينكسر توقعه، فيسمع أو يشاهد ما لا يتوقعه، إنّ الشاعرة لخلق العنوان في هذه القصيدة تعتمد على الاستعارة المكنية حيث تشبّه المرح بإنسان له جسم ونفس ثم تحذف المشبه به ويبقى من لوازمه وهو الجنازة وتوحي الاستعارة هنا بمبالغة الصورة حيث إنّ الشاعرة تحس بالحنن الشديد والآلام النسبية، فهي تقول في هذه القصيدة:

سأغلق نافذتي فالضياء يعكّر ظلمتي الباردة
سأسدل هذا الستار السميك على صفحة القصة البائدة
وأطرد صوت الرياح البليد وإشعاعة الأنجم الحاقدة

(الملائكة، ١٩٩٧م: ٤٧/٢)

فإنّ مضامين الحزن والتشاؤم واضحة في هذه القصيدة، والشاعرة كانت تسعى لتحقيق هدف من اختيار هذا العنوان، يمكن أنّها تريد أن تشير إلى أن السعادة والفرحة كانت موجودة في السابق ولكن في هذه الفترة التي تعيشها الشاعرة أصبحت كشخص ميت عندها ثم لم تكن موجودة بعد، «وكان تأكيد الشاعرة على موضوعات الإنسان في حدود موته وغرته وما عمل بذلك من أسرار الطبيعة والكون وغيرها ولقد احتلّ الإنسان في شعر نازك قدراً كبيراً من رعايتها واهتمامها مما يدل على أنّها تضع الإنسان وحرته وحقوقه فوق كل اعتبار». (الحمداني وأحمد، ٢٠١٤م: ٣١٨)

فجدير بالذكر إنّ الشاعرة تهتم بالعناوين اهتماماً خاصاً حيث تقول في أهمية اختيار العناوين: «ما من ديوان ضعيف قط إلا كان عنوانه ضعيفاً مثله، وإنّما يتاح العنوان العظيم في حالة الديوان العظيم. لأنّ الديوان الذي يمتلك طابعاً عاماً يطبع أسلوبه وموضوعاته، هو وحده الذي يكون له عنوان أصيل متفرد. وأمّا الدواوين التي لا طابع لها، وإنّما تحتوي على متفرقات في قضايا شتى لشؤون لا رابط بينها كشرع المناسبات وقصائد

الغزل التقليدي، فإنّ عناوينها تبقي عامة تدل على تهرب الشاعر من صياغة عنوان جامع لها يمثلها كلها ويشخص عقدة الديوان». (الملائكة، ١٩٧٩م: ٣٧٠) فمن خلال هذه الأسطر يتبيّن لنا الأهمية التي أولتها الشاعرة لاختيار العنوان للديوان وللقصيدة وطريقة صياغة العنوان، فتسمي بعض عناوين الدواوين التي فيها قصائد متفرقة في الموضوع عناوين نائية.

ففي ديوان "أزهار وأساطير" هناك قصيدة واحدة بعنوان "نهر العذارى" الذي يقوم العنوان فيها بالوظيفة الإغرائية، ففي هذه القصيدة تتضح إغرائية العنوان من الأسئلة التي يمكن للقارئ يسأل نفسه، ما هو قصد الشاعر من النهر؟ لماذا أضاف النهر إلى العذارى؟ ما هي الدلالة من هذا التركيب الإضافي؟ فلا يرى أجوبة لهذه الأسئلة إلا بعد قراءة القصيدة ويقول الشاعر في نهاية القصيدة:

واليوم إن سكر الخريد رُ وعاد يحترضن الجراراً!
لم ألقَ عذرائي فكيد ف الصَّبرُ يا نهر العذارى!؟

(السياب، د.ت: ٩٩)

ويتبيّن من قراءة القصيدة أن هذا النهر هو النهر الذي تدخله البنات ومن ضمنها حبيبة الشاعر، ولكن العنوان يغري المتلقي لقراءة القصيدة ويشير فضوله. إن السياب لم يعتمد على هذه العناوين وجعل عناوينه في هذا الديوان بعيدة عن الرمز والإغراء تقريباً.

فإنّ العنوان «ما وضع على رأس النص إلا ليعرفه وينوب عنه، وفيه يقوم المبدع باختزال مدلولات النص الكبير، فيطرح في العنوان اقتصاداً لغوياً قادراً على جذب المتلقي لمجموعة الأفكار والعواطف التي يضمها نصه، فكأنّما هو نص صغير يتعامل مع نص كبير». (مرتاض، ٢٠٢٠م: ٢٧٧) ففي مثل هذه القصائد إنّ العناوين تثير تساؤلات كثيرة في نفس المتلقي وتجعله يفكر بفرضيات عديدة قبل الشروع بقراءة القصيدة، وهذا الأمر يؤدي إلى إثارة انتباه المتلقي وجذب انتباهه وتشويقه وكذلك قد يجعل العنوان المتلقي في حيرة من أمره.

الوظيفة الوصفية

هذا النوع من الوظيفة يصف العنوان النص حيث يعبر العنوان عن شيء حول النص عبر هذه الوظيفة، ولها تسمية أخرى وهي الوظيفة الإيحائية، «لأنّ التقابل الموجود بين النمطين الموضوعاتي والخبري، لا يجدان لنا تقابلاً موازياً بين وظيفتين، الأولى موضوعاتية والثانية خبرية تعليقية، غير أنّ هذين النمطين في تنافسهما

واختلافهما يتبادلان نفس الوظيفة وهي وصف النص، بأحد مميزاته، إما موضوعاتية وإما خبرية وتسمى بالوظيفة الوصفية للعنوان». (بالعابد، ٢٠٠٨م: ٨٣) فإنّ هذه الوظيفة تشتمل على العناوين الموضوعاتية مثل العناوين الرمزية والمجازية والاستعارية والمضادة.

إنّ هذه الوظيفة تلفت انتباه القارئ أكثر من الوظائف الأخرى حيث يصف العنوان مضمون النص، و«هي الوظيفة التي يقول العنوان عن طريقها شيئاً عن النص، والمسؤولة عن الانتقادات الموجهة للعنوان، وهي نفسها الوظيفة (الموضوعاتية، والخبرية، والمختلطة) فالوظيفة الوصفية تعني بوصف العمل الأدبي وصفاً يكشف عن مضمونه أو دلالاته، ويخلص محتواه بإنتحاء منحى الوصف الموجز المكثف». (المشاعلة، ٢٠٢٢م: ٢٣)

عناوين قصائد نازك الملائكة التي تحمل وظيفة وصفية كثيرة منها: "اللقاء الأخير"، و"عروق خامدة" و"يوتوبيا الضائعة" و"جامعة الظلال" و"لنكن أصدقاء" و"أجراس سوداء". ففي قصيدة "جامعة الظلال" يأتي العنوان بوظيفة وصفية، حيث يعلن عن موضوع القصيدة، إنّ العنوان يأتي على صيغة المضاف وكلمة "جامعة" جاءت على صيغة المفرد المؤنث حتى تشير إلى الشاعرة، فهي التي تجمع الظلال والظلام:

أخيراً لمسّ الحياة
وأدركتُ ما هي أيُّ فراغٍ ثَقِيلٍ
أخيراً تبيّنتُ سرَّ الفقايعِ واهيبتناهُ
وأدركتُ إني أضعتُ زماناً طويلاً
ألم الظلالَ وأخبطُ في عَثمَةِ المستحيلِ
ألم الظلالَ ولا شيءَ غيرِ الظلالِ (الملائكة، ١٩٩٧م: ١٠١ / ٢)

إنّ العنوان في هذه القصيدة يجعل المتلقي من البداية على وعي كامل من موضوع القصيدة وكذلك يجعله يستشعر نوع النص وموضوعه. وكذلك في قصيدة "يوتوبيا الضائعة" التي تشير إلى مدينة فاضلة، «ولقد وضعت الشاعرة في تصورهما عالماً مثالياً للمجتمع البشري يسوده الحب وينعم فيه الإنسان بالسعادة وتذوب فيه أحقاد البشر. ومن أجل ذلك تصورت عالماً مليئاً بالعدل طافحاً بالقيم زاحراً بالمثل. وأطلقت على هذا العالم (يوتوبيا)». (الحمداني و أحمد، ٢٠١٤م: ٣١٨) إنّ كلمة يوتوبيا تدلّ على هذا العالم ولكن العنوان يشير إلى عدم وجود هذه المدينة أو ضياعها حيث تقول الشاعرة فيها:

ويوتوبيا حُلُمٌ في دمي
أموثٌ وأحيا على ذكره
تخليئُهُ بلداً من عبير
على أُنُقٍ حرثُ في سرّه

هنالك عبرَ فَصَاءٍ بعيد
تذوَّبُ الكواكبُ في سحره
يموِّثُ الضياءُ ولا يتحققُ
ما لوئُهُ ما شَدَى زهره

(الملائكة، ١٩٩٧م: ٣٨ / ٢)

إنَّ العنوان يصبح دليلاً على موضوع القصيدة حيث يعلنه مختزلاً ومكثفاً المعنى، فيسهل في تعرّف المتلقي على مضمون القصيدة ومعناه.

وفي ديوان "أزهار وأساطير"، نشاهد عناويناً كثيرة تحمل وظيفة وصفية، حيث إن العنوان في هذه القصائد يتحدث عن النص ويحكي شيئاً عنه، ك: "هل كان حبا؟"، و"رئة تتمزق" و"اللقاء الأخير" و"في ليالي الخريف الحزبي"، و"لن نفترق" و"سوف أمضي" و"ذكرى لقاء" و"الموعد الثالث" و"عينان زرقاوان". فعلى سبيل المثال في قصيدة "ذكرى لقاء" إنَّ العنوان يوحي بمضمون القصيدة حيث إنها تتحدث عن ذكريات الشاعر عند لقاءه مع الحبيبة فحاء العنوان ليوضح المضمون، فيقول الشاعر في هذه القصيدة:

قد انتصف الليل، فاطو الكتاب
عن الريح والشمعة الخابية
فعيناك لا تقرأن السطور
ولكنها العلة الهاوية
فأنت ترى مُقلتيها هناك
وذكرى من الليلة الماضية
فتطوي على ركبتيك الكتاب
وترنو إلى الأنجم النائبة

(السياب، د.ت: ٧١)

يصبح العنوان في هذه القصيدة وصفاً مختزلاً عن النص، ويتوافق معه، فيجعل القارئ يستشعر نوع النص ومضمونه ويعرفه من الوهلة الأولى. وكذلك في قصيدة "عينان زرقاوان"، إنَّ العنوان يعبر عن المعاني الموجودة ضمن النص فيؤدي الوظيفة الوصفية فكأنه أول سطر شعري للشاعر يفسر المعنى الجزئي ويمهد الطريق للوصول إلى المعنى العام للقصيدة، حيث إن القصيدة تتحدث عن عيني الحبيبة الزرقاوية، ويحس الذكريات القديمة في ظل عينيها، يضيء يوم الشاعر عينا حبيبته ويرى جمال الدنيا في عينيها.

فعلى هذا قمنا بإحصاء في الداوين وحصلنا على النتائج التالية:

ديوان	الوظيفة التسموية	الوظيفة الإعرائية	الوظيفة الوصفية
شظايا ورماد	١٨	٣	١١
أزهار وأساطير	٦	١	٢٢

الجدول ٣

حسب هذا الجدول نرى تكثر نازك الملائكة في استخدام العناوين ذات الوظيفة الإغرائية مقارنة للسياب، وتحاول إغراء المخاطب وإثارة الفضول فيه عبر العناوين ولكن يعتبر السياب أقل استخداماً لهذا النوع من الوظيفة ويكثر من استخدام العناوين ذات الوظيفة الوصفية كأنه يريد أن يجعل مخاطب أشعاره أو قارئها يتعرف على مضمون القصيدة فيسهل العنوان في تشكيل الموقف الشعري وتكثيف المعنى لديه.

فضلاً عن هذا نجد بعض العناوين كأنها إشارة بسيطة إلى موضوع القصيدة كالقصائد الأولى للشعراء: "هل كان حباً" و"الكوليرا"، وبعض العناوين لها عدة وظائف ك"تمت اللعبة" والذي بإمكان العنوان يحمل وظيفة تسموية إلى جانب الوظيفة الوصفية. ومع كل هذا إن اختيار العنوان وصياغته أمر يحتاج إلى التفكير والتأمل وعمل عقلي يفتقر إلى قدر من الإبداع، ينبغي للأديب اختيار عنوان لعمله بعد التفكير في مضمونه ودلالته ومحتواه ليتوافق مع روح عمله ويجعله أن ينفذ في عمق وجود القارئ بصرياً ودلاليّاً.

النتائج

- يكثر استخدام نازك الملائكة للعناوين غير الموحية مقارنة للسياب، وربما يرجع السبب بأنّ مضامين أغلب القصائد عند نازك الملائكة اجتماعية وذاتية ويمكن أنّها لم تبح بقضايا الغرام والحب في عناوينها بشكل صريح.

- أمّا بدر شاعر السياب فيعتمد على العناوين المباشرة التي تصرّح بمضمون القصيدة أكثر منها، حيث إنّه يستخدم العناوين الموحية التي يمكن إدراك مضمون القصيدة عبر العنوان ويمكن السبب يرجع إلى مضمون قصائده إذ يشتمل الديوان على قصائد غرامية وشعره من نوع الشعر الوجداني.

- تختلف بنية العناوين عند الشعارين بين كلمة واحدة أو كلمتين أو أكثر، فسيطرة الجملة الاسمية في العناوين وهيمنتها على العناوين المدروسة واضحة، واللافت للانتباه دلالة الجملة الاسمية على الثبوت والاستمرارية، فإنّ الشعارين يريدان أن يتحدثوا عن شيء ثابت في أشعارهما، أما الاعتماد على الجمل الفعلية فنادر عند الشعارين.

- يكثر السياب من استخدام الجملة الفعلية لخلق عناوين قصائده مقارنة لنازك الملائكة، فإنّ أنماط مختلفة من الجمل الفعلية لا تتعلّق بالبنية النحوية فحسب وإنما لها البعد الدلالي والإيحائي، حيث إنّ الاعتماد على الفعل الماضي في العنوان يشير إلى حدث وقع في زمن الماضي ويوحى بانقضاء زمن الحدث، والفعل المضارع يشير إلى طبيعته الحركية والتجدد.

- يميل الشعاران إلى العناوين المركبة أكثر من العناوين المفردة حيث إنّ العناوين المركبة تحتاج إلى التفكير

والتأمل الأكثر لفتح مغالقتها.

- إنَّ العناوين ذات الوظيفة الإغرائية تطرح أسئلة وفرضيات عديدة في ذهن المتلقي وقد تكسر أفق توقع المخاطب وهذا الأمر يؤدي إلى إثارة إتيباهه وتشويقه لقراء القصائد.
- لا يستخدم كل من النازك الملائكة والسياب من العناوين ذات الوظيفة الإغرائية كثيراً واعتمادهما على هذا النوع من العناوين قليل جداً، ويمكن السبب يرجع إلى أنَّ الدواوين المدروسة لهذين الشعاعين كانت من أوائل تجربتهما الشعرية ولم يهتما بخلق العناوين اهتماماً بالغاً.
- إنَّ السياب يكثر من استخدام العناوين ذات الوظيفة الوصفية في ديوانه، كأنه يريد أن يجعل مخاطب أشعاره أو قارئها يتعرف على مضمون القصيدة، فيسهل العنوان في تشكيل الموقف الشعري وتكثيف المعنى في قصائده.

المصادر والمراجع

- ابن منظور، محمد بن مكرم (١٣٧٥ق). *لسان العرب*، د.ط، دار بيروت.
- الأحمر، فيصل (٢٠١٠ م). *معجم السيميائيات*. ط ١. الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون.
- بدوي، أحمد طبانة (١٩٤٨ م). *أدب المرأة العراقية*. ط ١. القاهرة: دار العلم العربي.
- بلاطة، عيسى (٢٠٠٧ م). *بدر شاكر السياب حياته وشعره*. ط ٦. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- بلال، أحمد كريم (٢٠١٨ م). *العنوان وبنية القصيدة في الشعر العربي المعاصر دراسة في علاقته بالبنية الشعرية*. ط ١. طنطا: دار النابغة للنشر والتوزيع.
- بلعابد، عبد الحق (٢٠٠٨ م). *عتبات (جبرار جينيت من النص إلى المناص)*. ط ١. الجزائر: منشورات الاختلاف.
- بواربو، عبد الحميد (٢٠٠٨ م). *الكشف عن المعنى في النص السردى (السرديات والسيميائيات)*. الجزائر: دار السبيل.
- تشاندلر، دانيال (٢٠٠٨ م). *أسس السيميائية*. ترجمة: طلال وهبة. مراجعة: ميشال ذكريا. ط ١. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- التميمي، ساجدة عبد الكرم خلف (٢٠١٧ م). *الاغتراب في شعر نازك الملائكة*. ط ١. عمان: دار غيداء.
- تودوروف، ترفيتان، بارت، رولان، إكو، أمبرتو، أنجينو، مارك (١٩٨١ م). *في أصول الخطاب النقدي الجديد*. ترجمة: أحمد المدني. ط ٢. الجزائر: الدرا البيضاء.
- الجزائر، محمد فكري (١٩٩٨ م). *العنوان وسيموطيقا الاتصال الأدبي*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- جيرو، بيير (١٩٨٨ م). *علم الدلالة*. مترجم: منذر عياشي. ط ١. دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.
- حسينية، مسكين (٢٠١٣ م). *شعرية العنوان في الشعر الجزائري المعاصر*. أطروحة دكتوراه. جامعة وهران السانبا.

- الحمداني، سالم. أحمد، فائق مصطفى (٢٠١٤ م). الأدب العربي الحديث دراسة في شعره ونثره. ط ١. قم: فاروس.
- حمداوي، جميل (٢٠١٥ م). الاتجاهات السيموطيقية للتيارات والمدارس السيموطيقية في الثقافة العربية. ط ١. مكتبة المثقف.
- داود البصري، عبد الجبار (١٩٧١ م)، نازك الملائكة الشعر والنظرية. بغداد: دار الحرية للطباعة.
- دي سوسور، فردينان (١٩٨٥ م). علم اللغة العام. ترجمة: بوئيل يوسف عزيز. ط ٣. بغداد: دار آفاق عربية.
- السياب، بدر شاكر (د.ت). أزهار وأساطير. القاهرة: مؤسسة هنداوي.
- الطائي، لطيف يونس حمادي (د.ت). «سيميائية العنوان في ديوان شظايا ورماد للشاعرة نازك الملائكة». مجلة مداد الآداب. العدد ١٢: ١٦٠-١٤٣.
- عبد الحق، سليمان علي (٢٠١١ م). «إرهاصات الشعر الحرّ عند علي أحمد باكثير دراسة فنية». مجلة كلية دار العلوم، جامعة الفيوم. العدد ٢٦: ٣٩٥-٤٢٤.
- علي، عبد الرضا (١٩٨٧ م). نازك الملائكة دراسة ومختارات. ط ١. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة "آفاق عربية".
- قطوس، بسام موسى (٢٠٠١ م). سيمياء العنوان. عمان: وزارة الثقافة.
- القلماوي، سهر (١٩٥٩ م). النقد الأدبي، ط ٢، لبنان، دار المعرفة.
- كامروبي، جوزيب بيزا (٢٠٠٤ م). وظائف العنوان. ترجمة: عبد الحميد بورايو.
- مرتاض، عبد المالك (٢٠٢٠ م). نظرية النص الأدبي. ط ٢. الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.
- المرسومي، علي صليبي مجيد (٢٠١٥ م). القصيدة المركزة ووحدة التشكيل. ط ١، بيروت: المؤسسة الحديثة للكتاب.
- المشاعلة، محمد صالح (٢٠٢٢ م). شبكات التواصل الاجتماعي والرواية العربية (التطور والتحديد). ط ١. الأردن: دار الخليج للنشر والتوزيع.
- مطلوب، أحمد (٢٠٠٢ م). في الشعر العربي الحديث. ط ١. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
- معوش، سالم (٢٠٠٦ م). بدر شاكر السياب دراسة في تجربة السياب الحياتية والفنية والشعرية. ط ١. بيروت: مؤسسة بحسون للنشر والتوزيع.
- الملائكة، نازك صادق (١٩٧٩ م). الصومعة والشرفة الحمراء. ط ٢. بيروت: دار العلم للملايين.
- الملائكة، نازك صادق (١٩٩٧ م). ديوان. المجلد الثاني. بيروت: دار العودة.
- الملائكة، نازك صادق (١٩٩٨ م). يغير ألوانه البحر. القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة.
- واصل، عصام حفظ الله (٢٠١١ م). التناص التراثي في الشعر العربي المعاصر. ط ١. عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع.
- وهبة، مجدى (١٩٨٤ م) معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب، دط، مكتبة لبنان.

The Semiotics of the Title in the Poetry of Nazik Al-malaika and Badr Shakir Al-Sayyab (a Comparative Study)

Samer Ali Karim¹, Fatemeh Rais Mirzaei^{*2}

1. Master's student in Arabic Language and Literature, University of Religions and Denominations, Qom, Iran
2. PhD graduate of Arabic Language and Literature, Shahid Beheshti University, Tehran, Iran
Parseh_47@yahoo.com

Abstract

The title is one of the important topics of semiotic science, which has occupied the minds of researchers and critics in the contemporary era, because the ancient poets did not care about choosing titles for their poems. The title is a window for the audience to enter the world of the text and is a necessary input to understand the text. The title is the main key to the deconstruction of the literary text in general and the poetic text in particular, because it opens the door to many implications and concepts. The purpose of this research is to examine the title in the poems of two of the pioneers of free poetry in Iraq, namely "Nazik Al-Malaika" in «Shazaya va Ramad» her diwan poetry and "Badr Shakir al-Sayyab" in «Azhar va Asatir» his Diwan poetry, because these collections are considered to be among their first poetic experiences in the period that were written at a certain time. In this research, by examining the methods of creating titles and explaining their function in the mentioned collections, we will describe the functions of titles in poems, the main question that is raised here is: What are the differences and similarities in the use of titles in the poems of these poets? The approach adopted in this research is a descriptive and analytical approach according to the requirements of the research. One of the most important results that we achieved is that "Nazik Al-Malaika" used more uninspiring titles compared to "Badr Shakir al-Sayyab" and secondly is, "Badr Shakir al-Sayyab" has used more actual sentences to create the titles of his poems compared to "Nazik Al-Malaika" and thirdly is, "Nazik Al-Malaika" and "Badr Shakir al-Sayyab" did not use titles with encouraging functions in their poems, which may be because the collections studied by these poets were among their first poetic experiences, in which they did not attach much importance to the choice of titles.

Keywords: title, semiotics, text thresholds, budget, Shazaya va Ramad, azhar wa Asatir.